

جلسة محور العدالة – العدالة الاجتماعية والبيئية

الدكتورة/ باولا بيزو

Community of Sant'Egidio
University of Chieti - Italy

السيد رئيس الجلسة،

السيدات والسادة،

أودُّ، قبل كل شيء، أن أشكرَ مركزَ الدوحة للحوارِ بين الأديانِ ودولةَ قطرَ على الدَّعوةِ التي وُجِّهتْ إليّ لكي أشاركَ في هذه التَّدوَّة.

لقدَ باتتِ الدوحةُ إحدى عواصمِ الحوارِ بين الأديانِ. وأودُّ هنا أن أذكرَ بالتزامِ الأستاذةِ عائشةِ المناعِ في هذا المضمارِ وبإسهامها الهامِّ في ندواتِ الحوارِ بين الأديانِ والثقافاتِ التي تُنظِّمها جماعةُ سانتِ اجيديو. الموضوعُ المُختارُ للقاءِ الدوحةِ، هذا العام، عنوانُهُ " الممارساتُ الجيدةُ في الحوارِ بين الأديانِ"، وهوَ يشمُلُ أربعةَ أوساطٍ يُمكنُ تحقيقُ وتشجيعُ هذه الممارساتِ فيها: الوسطِ الأكاديميِّ، ووسطِ تعزيزِ العدالةِ، ووسطِ حلِّ الصِّراعاتِ أو التَّراعاتِ والسلامِ، وأخيراً، وسطِ وسائلِ الإعلامِ الاجتماعيِّ. إنَّها مواضيعُ عزيزةٌ إلى قلبِ جماعةِ سانتِ اجيديو. فهي، كما يعرفُ الكثيرونَ منكم، جماعةٌ مسيحيَّةٌ ترتكزُ إلى الصلاةِ وإلى الإصغاءِ اليوميِّ إلى الكتابِ المقدَّسِ وتعملُ، منذُ عامِ 1968، في روما والعالمِ، في خدمةِ الفقراءِ، وبناءِ السلامِ، والعدالةِ الاجتماعيَّةِ، والحوارِ بين الأديانِ.

تودُّ، في هذه الجلسةِ المُخصَّصةِ للعدالةِ الاجتماعيَّةِ، أن نُقدِّمَ ناحيةً من نواحي عمَلِ جماعةِ سانتِ اجيديو التَّقتُ التِّقاءَ سعيداً مع التزامِ دولةِ قطرِ الهامِّ والإنسانيِّ في الحقلِ الاجتماعيِّ. لقدَ عُيِّتْ جماعةُ سانتِ اجيديو، منذُ نشأتها، في عامِ 1968، بعالمِ الصِّغارِ الذين يواجهونَ صعوباتٍ، والفقراءِ من بين الناسِ الأشدَّ ضعفاً.

لقدَ رافقَ الصِّغارُ جماعةَ سانتِ اجيديو منذُ نشأتها. إنَّ حياتهم الضعيفةَ، المحتاجةَ إلى حمايةٍ ومساعدةٍ، قد بيَّنتُ بوضوحٍ كمَّ من آلامٍ يُمكنُ اللامبالاةُ والعزلةُ أن تُحدثا فيها. لقدَ أصغينا إلى كلماتِ يسوع "من يقبلُ هذا الصِّغيرَ باسمي فهو يقبلني" (لوقا. 9، 48) وفهمنا أنَّها تدعونا إلى خدمةٍ ومحبةٍ الصِّغارِ والأحداثِ، وبخاصَّةٍ، أولئك الأشدَّ فقراً.

فكرةٌ أن تُكونَ الطفولةُ مرحلةَ سعادةٍ للجميعِ، تكادُ تُكونُ "أجملَ مرحلةٍ في الحياة"، هي بالأحرى فكرةٌ عامَّة. غيرَ أن هذه النظرةَ لا تتطابقُ والواقعَ بالنسبةِ إلى صغارٍ كثيرين. ففي البلدانِ المصنَّعةِ، ذاتِ التطوُّرِ التكنولوجيِّ الرفيعِ، حيثُ مُعدَّلُ الولاداتِ منخفضٌ، نجدُ صغاراً عديدينَ، بشكلٍ عامٍّ، عائلاتهمُ أحاديَّةُ الوالدينِ، لهم

والدان يَعمَلانِ ولا يُمكنُهُما أن يَعتنِيا بهِم كثيراً، يَقضُونَ وقتًا طويلاً أمامَ شاشةِ التِّلْفَازِ، وعندما يُصِحُّونَ كباراً، فإنَّهُم يَقضُونَ وقتًا طويلاً أمامَ الكومبيوترِ تَحَدِّثُهُمُ صُورُ الألعابِ. يُمكنُهُمُ أن يَتَأَلَّمُوا أحياناً لكونِهِم مُهْمَلِينَ، أو لأسبابِ عَنفِ نَفْسِيٍّ أو جَسَدِيٍّ، أو لأسبابِ تجاوزاتٍ، أو لكونِهِم مَترُوكِينَ. وإنَّ التَّوَثُّراتِ الزوجيةَ، وَعَدَمَ الاستقرارِ في الروابطِ الزوجيةَ، أمرانِ يَتَرُكَّانِ آثاراً عميقةً في نفوسِ الأكثرِ صِغَرًا. أمَّا في البلدانِ الأكثرِ فقراً فَمِنَ المعروفِ كَمَ أنَّ حياةَ صغارٍ وأحداثٍ كثيرينَ صعبةٌ، وذلكَ بسببِ الفقرِ المادِّيِّ، وسوءِ التغذيةِ، والأمراضِ، والحروبِ. في هذهِ البلدانِ، يموتُ كلُّ يومٍ أربعونَ ألفَ صَغيرٍ بسببِ الأمراضِ وَعَدَمِ العنايةِ الصَّحيَّةِ وَعَدَمِ التغذيةِ. أربعونَ بالمئة من الصغارِ في جنوبِ العالمِ يَعيشُونَ تحتَ عَتَبَةِ الفقرِ، واثانِ وأربعونَ بالمئة لا يحصلُونَ على مياهِ الشُّربِ. ومئةٌ وثلاثونَ مليوناً هم الصغارُ الذين لا يَسْتَطِيعُونَ الذَّهابَ الى المدرسةِ، فيما هنالكَ أكثرُ من مِئتينِ وخمسينَ مليوناً يَقُومُونَ بِعَمَلٍ. إنَّ جماعةَ سانتِ اجيديو تُنظِّمُ في العالمِ ما يُسمَّى بـ"مدارسِ السلامِ".

هي مَراكزُ مجانِيةٌ كُلياً، يَلقَى فيها الصَّغيرُ، في جَوِّ عائليٍّ، مُساندَةً في الانخراطِ في المدرسةِ؛ وهذهِ الطريقةُ، تُساعدُ مدرسةَ السلامِ العائِلةَ في مَهَمَّتِها، مقترحةً عليها نموذجاً تربوياً مُنفَتِحاً على الآخرينِ، مُتضامناً مَعَ الأقلِّ نعمةً وحظاً، نموذجاً قادراً على تخطيِّ الحواجزِ أو العَقَباتِ والتَّفرقاتِ. في جميعِ مدارسِ السلامِ في العالمِ يُستَقْبَلُ صغارٌ من جميعِ المذاهبِ الدِّينيَّةِ، دونِ أيِّ تمييزٍ. بهِذهِ الطريقةِ، يتعلَّمُ الصغارُ، مُنذُ صِغَرِ سِنِّهِمُ، أنَّ بإمكانِهِمُ أن يَعيشُوا مَعاً، على اختلافِ العِرقِ أو الدِّينِ، ولكنَّ مُساوِينَ في الإنسانيَّةِ. لا بل، يتعلَّمُ الصغارُ أنَّ العيشَ مَعَ في التَّنوعِ أمرٌ جميلٌ يُعني الحياةَ ويُعطي الفرحَ. من هذا الوَعْيِ أو الإدراكِ، وُلِدَت، في نطاقِ مدرسةِ السلامِ، مبادرةُ بَلَدِ قوسِ فُرحِ.

بلدُ قوسِ فُرحِ يُمثَلُ عالمُ العَد، هَكَذا كما نودُهُ أن يَكُونَ. إنَّه المقترحُ الرامي الى بِناءِ عالمٍ أكثرَ عدالةً وإنسانيَّةً، أكثرَ تضامناً واحتراماً للطبيعةِ. عالمٌ للجميعِ، يُمكنُ الجميعَ فيه أن يَعيشُوا باحترامٍ، الواحدُ للآخرِ، واحتراماً للطبيعةِ.

إنَّ الإسمَ المختارَ يَنطَلِقُ من قصَّةِ نوحٍ، المشتركةِ بين اليهودِ والمسيحيينَ والمُسلمينَ. يُحكى فيها عن عهدِ جَدِيدٍ بين اللهِ والبَشَرِ. لكنَّ هذا العهدَ يُشركُ الحيواناتِ والأرضَ وجميعَ الكائناتِ الحيَّةِ أيضاً. علامةُ هذا العهدِ هي قوسُ فُرحِ. ينتهي عالمُ مُكَوَّنٌ من صراعاتٍ وحروبٍ وعنفٍ، ويبدأ عالمٌ جَدِيدٌ، يَتميزُ باحترامِ تَنوعاتِ كُلِّ واحدٍ.

في إطارِ الالتزامِ في سبيلِ الصغارِ، أنشأتُ جماعةُ سانتِ اجيديو في أفريقيَا برنامجَ بَرافو! لِتَسجيلِ الأطفالِ أو الصغارِ في دائرةِ الأحوالِ الشخصيةِ، وذلكَ لِرَفَعِ التَّحدِّيِ المُتصاعِدِ لأطفالِ أو صغارٍ كثيرينَ غيرِ مُسجَلينَ، وللإجابةِ على نتائجِ عَدَمِ التَّسجيلِ وتأثيرِها في السلامِ وفي استقرارِ بلدانٍ ناميةٍ عديدة. تُبيِّنُ تقديراتُ اليونيسفِ أنَّ عَدَدَ الأطفالِ أو الصغارِ الذين لا يُسجَلُونَ سنوياً في لحظةِ ولادَتِهِمُ قد ارتَفَعَ من ثمانيةٍ وأربعينَ مليوناً في عامِ 2003 الى واحدٍ وخمسينَ مليوناً في عامِ 2007.

إنّ برنامج برافو! يريد أن يضمن تسجيل الأطفال أو الصغار عند لحظة ولادتهم، مُشجّعاً تطوير أنظمة التسجيل في دائرة الأحوال الشخصية، ومُحسّساً الوالدين والبنين والبنات، ومتعاوناً مع الوزارات والمؤسسات الحكومية المعنية.

لقد بات البرنامج ناشطاً وفعالاً في بعض بلدان أفريقيا.

إنّ عدم التسجيل في دائرة الأحوال الشخصية يُعَدّي الصراعات أو النزاعات، ويؤلّد عدم الاستقرار، ويسبب إلى الأطفال أو الصغار كما إلى الكبار، ويصيب الشبيبة بنوع خاص. إنّ التسجيل عند لحظة الولادة حقّ تُنصُّ عليه المادة السابعة (7) من معاهدة حقوق الطفل لعام 1989، وهي أكثرُ معاهدات الأمم المتحدة تصديقاً عليها.

في كلّ حال، إنّ الإطار الشامل للتسجيل في دائرة الأحوال الشخصية في العالم إطاراً، بالأحرى، مُؤسّف، وإنّ اللامبالاة لا تزال تُعَدّي المشكلة: ففي كلّ عام، واحدٌ وخمسون مليون طفل أو صغير لا يُسجّلون، وبالتالي، إنهم يُصبحون عرضةً للانجراف، منذ صغرهم، ثمّ يتعرّضون للانجراف لاحقاً عندما يُصبحون كباراً. ولذا، يزداد الاحتمال أن يتعرّضوا لتجاوزات مختلفة الأنواع، بالنسبة إلى من هم، منذ لحظة ولادتهم، مُسجّلون. إذن، التسجيل في دائرة الأحوال الشخصية أداة فعالة لحماية الأطفال أو الصغار.

والتسجيل في دائرة الأحوال الشخصية هو أيضاً أداة تُتيح الحصول على حقوق وخدمات أخرى تُلزّم الدولة بتوفيرها لمواطنيها، وهي تطوّل مدى حياة الشخص بكامله.

وإنّ لهذا التسجيل آثاراً على دور الفرد في الدولة، بل أيضاً على الحياة الشخصية. كثيرة هي الأوساط التي يَلعبُ فيها هذا التسجيل دوراً هاماً، بما فيها: 1- البدء الحينيّ بالتربية الابتدائية؛ 2- استكمال المسار التربويّ مع إمكانية الحصول على شهادة. بهذا المعنى، إنّ التسجيل في دائرة الأحوال الشخصية يُسهّل ويُتيح تحقيق هدف الألفية الثاني: وهو ضمان التعليم الابتدائيّ لجميع أطفال أو صغار العالم.

في مواجهة هذا التحدّي العالميّ ومن أجل رفعه، تلاقى التزام جماعة سانت اجيديو مع التزام دولة قطر، وبخاصّة، مع الالتزام الشخصي لصاحبة السموّ الشيخة Mozah المسؤولة في الأمم المتحدة عن مثل هذا الهدف الهامّ.

إنّ فكرة فتح تعاونٍ يُشرك، من جهة، جماعة سانت اجيديو المسيحية، ويُشرك، من جهة ثانية، التزام صاحبة السموّ الشيخة Mozah في سبيل التعليم في العالم، تنشأ بالضبط كثمرّة سنواتٍ من اللقاءات ومن الحوار بين الأديان. وفي الواقع، منذ زمن، كان قد انطلق، في لقاءاتنا للحوار، تفكيرٌ في كيفية جعل الحوار والصدقة بين مؤمنين يتّمون إلى أديانٍ مختلفة يتحوّل إلى التزامٍ مشتركٍ في سبيل خير البشرية. لقد برز الحقل الاجتماعي فوراً على أنّه الحقل الأكثر ملاءمةً لتفعيل مثل هذا التعاون. بفضل مبادرة وبعده نظر الأستاذة عائشة المناع تمّ الوصول أخيراً في أغسطس 2012 إلى لقاء هامّ كان فيه لصاحبة السموّ حدسٌ أنّ المساعدة على توفير

الدراسة للأطفال أو الصغار في العالم يُمكن أن تكون حقل الالتزام المشترك الذي كان المسيحيون والمسلمون يسعون إلى إيجادِه منذ زمن.

إنّ ذلك التآلف يبدو لنا أنّه يُمثّل نموذج عملٍ يستطيع المسيحيون والمسلمون، من خلالِه وبدافع توقّهِم إلى خدمة القسم الأضعف من البشريّة، أي الأطفال أو الصغار، أن يبيّنوا للعالم أنّ رجال ونساء الإيمان يُمكنهم العمل بطريقة ملموسة وفعّالة من أجل "القيام معاً بتعزيز العدالة الاجتماعيّة والقيم الأدبيّة والسلام والحرية لجميع البشر" (Nostra Aetate,3 ، عصرنا، 3).